

سرايا عثمانية في فلسطين التاريخية

السرايا هي كلمة تركية مشتقة من الكلمة الفارسية (سراي) التي تعني "القصر"؛ وهي عبارة عن قصور أو مباني حكومية لها أهمية إدارية في زمن الحكم العثماني.

انتشرت مباني السرايا العثمانية في معظم المدن الفلسطينية، وقد تميزت بهندستها الفريدة وتصاميمها الجميلة؛ ما جعلها اليوم من أبرز المعالم التاريخية والتراثية والسياحية.

وقد مثلت السرايا العثمانية تجسيداً واضحاً للسلطة المركزية والمكانة الاجتماعية في المدن الفلسطينية خلال العهد العثماني، ولم تكن مجرد رموز حكم؛ بالإضافة إلى أنها كانت تضم مرافق متعددة الوظائف تؤدي أدواراً إدارية وأمنية وخدمانية.

كانت مباني السرايا عادةً تتكون من طابقين وقبو؛ حيث حُصّصت الطوابق السفلية لاحتجاز السجناء من الرجال والنساء في أقسام منفصلة، كما اشتملت على حمامات، وإسطبلات؛ وأحياناً ثكنات عسكرية؛ أما الطابق العلوي فقد كان يضم الدوائر الحكومية ومسجداً للصلاة؛ ما يعكس مركزية الدين والدولة في تصميم هذه المنشآت.

تُعرف مداخل السرايا بأقواسها المزخرفة ونقوشها الدقيقة، إضافة إلى الأبواب الغائرة التي وفّرت ما يُعرف بـ"المكسلة" (مقاعد جانبية لحراس البوابة). كما كانت الأفنية الواسعة عنصراً مركزياً في تخطيط السرايا، وكانت تُستخدم للاجتماعات الرسمية والمناسبات الاحتفالية، وتحيط بها أروقة (جمع رواق) من الطابق الأول، تُستخدم كممرات مغطاة تُتيح الحركة والتنقل، وتُعبّر من خلال أعمدتها المزخرفة وتيجانها الفخمة عن الهيبة المعمارية والسلطة الرمزية.

أما السلالم فغالباً ما بُنيت على طراز مهيب؛ إذ ينقسم الدرج إلى فرعين يصعدان إلى منتصف الطريق ثم يلتقيان ويصعدان مجدداً حتى الطابق الأول، في ترتيب معماري درامي. وتظهر في العديد من السرايا نوافذ دائرية تُعرف بـ"الروزانة"، قد تكون بسيطة أو مزخرفة، وتؤدي دوراً مزدوجاً: زخرفياً وإنشائياً، إذ تسمح بدخول الضوء الطبيعي وتخلق ظلالاً ناعمة تعزز البعد الجمالي الداخلي.

ورغم أن معظم هذه المباني لم تصمد مادياً حتى اليوم، إلا أن دلالاتها المعمارية والثقافية لا تزال حية في الذاكرة التاريخية. فمعاني السرايا المتبقية قد تلاشت منذ زمن طويل، إذ تُستخدم اليوم لأغراض لا تمت لوظيفتها الأصلية بصلة، أو تُركت مهجورة.

وهنا نستعرض أبرز وأشهر السرايا في فلسطين:

سرايا عثمانية في نابلس



سرايا الحكم التركي العثماني تقع وسط باب الساحة مقابل برج الساعة القديم وجامع النصر في نابلس، وتعود للعهد العثماني، وكانت تضم دوائر ومؤسسات الحكم التركي العثماني، وعددها أربع عشرة دائرة، من بينها "دائرة آثار نابلس"، وتعدّ دار حكم الوالي التركي للمدينة، إلا أنها حولت إلى دور سكن مع نهاية حكم الأتراك وقد تعرضت لها القوات الإسرائيلية أثناء الاجتياح العسكري في نيسان/ أبريل 2002م؛ إذ قصف الاحتلال الجزء العلوي الشمالي منها، وهدم ودمر الأسقف والواجهات. يستخدم جزء من مبنى السرايا العثمانية اليوم مسكنًا لبعض الأسر؛ أما الجزء الآخر فقد استخدم محلات تجارية.

تعود السرايا العثمانية في نابلس في بنائها أو إعادة بنائها إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وهي بناء ضخم يتألف من طابقين، ومن أكثر من جناح معماري، وكانت فيها كل دوائر الحكومة العثمانية، إلا أنها أهملت بعد خروج الأتراك من المدينة، وتحولت إلى دار للسكن ومعمل للحلويات.

سرايا عثمانية في طولكرم



أنشئ مبنى السرايا في طولكرم سنة 1893م في نهاية الحكم العثماني لفلسطين، وكان مقرًا إداريًا لدوائر الحكومة العثمانية بالإضافة إلى مقر بلدية طولكرم بعد أن اعتبرت المدينة مركزًا لقضاء بني صعب سنة 1886م.

ويعلو مدخل المبنى نقش مكون من عدة أبيات شعرية تؤرخ للمبنى، تبين أنه بني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، في عهد والي بيروت خالد بابان، ويذكر البيت الثالث من النقش حسين واسم والي قضاء نابلس واسم أول مؤسس للمقامات في طولكرم صالح الركابي، وما زال المبنى يستخدم منذ ذلك العهد. في الحرب العالمية الأولى استخدم كمقر للجيش العثماني، وفي عهد الانتداب البريطاني استخدم مكتبًا إداريًا ومعتقلًا ومركزًا ثقافيًا. في عام 1946 أصبح المبنى ملكاً لبلدية طولكرم عندما اشترته من الحكومة البريطانية بمبلغ 5000 جنيه فلسطيني؛ وبعد النكبة، وخلال الحكم الأردني، استخدم المبنى مدرسةً للاجئين. بعد إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية، استخدم الطابق العلوي من المبنى في البداية مقرًا لأجهزة الأمن؛ والطابق الأرضي مقرًا لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومركزًا لشرطة في المدينة. في عام 2009 تم تجديد المبنى وإعادة تهيئته لاستخدام الطابق العلوي كنزل وبيت ضيافة، والطابق الأرضي كسوق، ومركز معلومات سياحية، وقاعة اجتماعات وندوات.

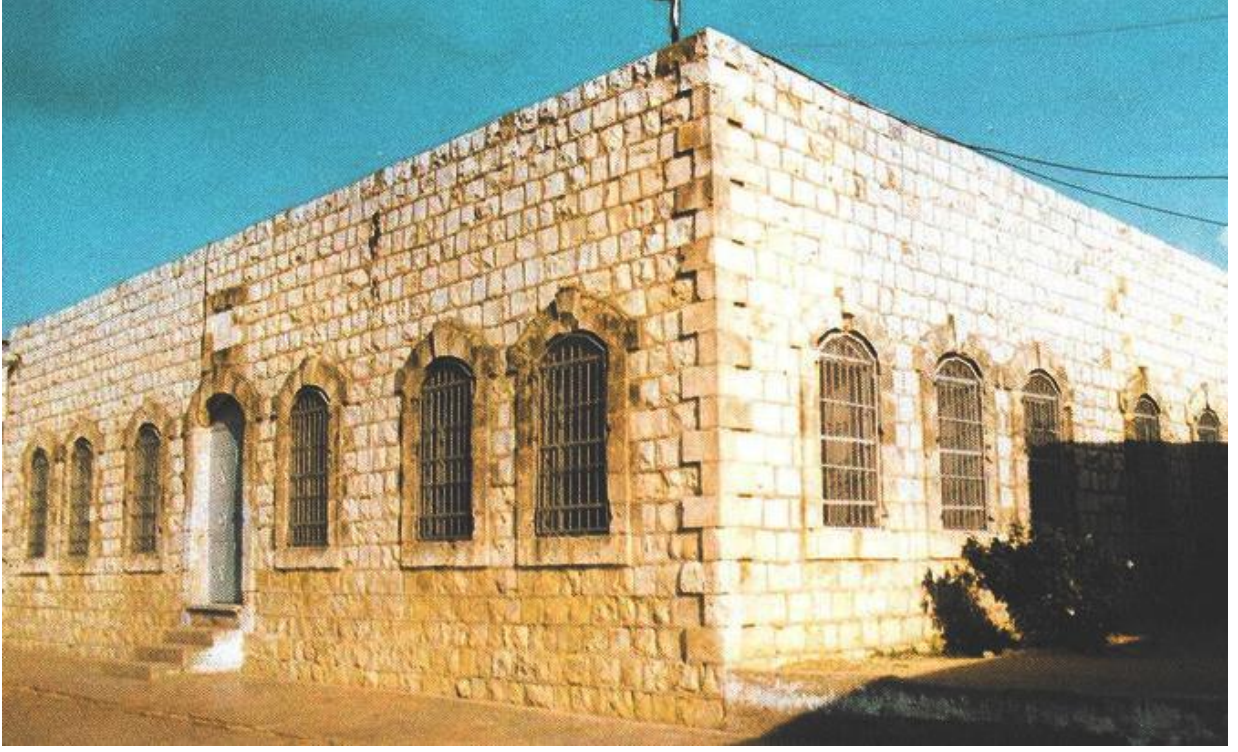
سرايا عثمانية في جنين



يقع مبنى السرايا العثماني وسط مدينة جنين، مقابل مسجد جنين الكبير من الجهة الشرقية. شيد المبنى عام 1883م، بأمر من والي صيدا، ليكون مقراً للحاكم وسكناً له، وسميت بدار السرايا، وتعني دار الحاكم، وكان يحتوي أيضاً على سجن وإسطول ومقر للضيافة. وفي فترة الحكم الأردني تحولت إلى مبنى للدوائر الحكومية، والمحكمة الشرعية، ولاحقاً إلى مقر لبلدية جنين. وفي عام 1955م، حول المبنى إلى مدرسة اسمها "مدرسة حطين الإعدادية للبنين"، واستمرت مدرسة للذكور حتى عام 1978م، وبعدها تحولت إلى مدرسة للبنات اسمها "مدرسة فاطمة خاتون" نسبة إلى فاطمة خاتون (ابنة أبي الفضل محمد بن السلطان قانصوة الغوري) التي أنشأت المسجد المقابل لمبنى السرايا سابقاً.

يتكون المبنى من طابقين مع ساحة مركزية في الوسط، فالطابق الأول يتكون من ستة عقود وسلمان حجريان متقابلان يفضيان للطابق الثاني، الذي يتكون من أروقة على شكل حرف (U)، أما السقف فهو عقد متقاطع من القرميد، ويتميز مدخل المبنى بأقواسه المتداخلة وعلى جانبيه شباكان.

سرايا عثمانية في قلقيلية



هو عبارة عن مبنى عثماني يعود تاريخ إنشائه إلى عام 1913م. شيد ليكون مقرًا إداريًا، وكان يعرف بالسرايا، وهو مقر لـ"قيادة الناحية" في الفترة العثمانية. ضم المبنى ساحة وعدة مرافق منها: غرفة للتوقيف، وغرفة للعتاد؛ وهناك عقد نصف برميلى يحتوي على قطعة حديد يعتقد انها كانت مشنقة في الفترة العثمانية. تم ترميم المبنى ترميمًا كاملاً، وإضافة جدار خلفي للواجهة مساند لها مقصور بالقصارة الخشبية (شبريز). وهذه الإضافة تمتد لتضم الطابق الأرضي وجزء من الطابق الأول. وتم استبدال السقف القديم للعلية بسقف إسمنتي حديث مقصور بقصارة إسمنتية، واستبدل سقف الباب الرئيسي القديم بسقف جديد بسبب اهترائه. يستخدم مبنى السرايا اليوم مدرسةً سميت "مدرسة المرابطين الأساسية".

سرايا عثمانية في القدس

السرايا القديمة "المدرسة الجاولية":



تقع المدرسة الجاولية عند الزاوية الشمالية الغربية من الحرم القدسي الشريف، وتُعدُّ واحدة من أبرز المعالم التاريخية في القدس. أوقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولي، نائب غزة والقدس (683 - 745هـ/1284-1344م) لتكون مدرسة علمية تحمل اسمه. ورغم استخداماتها المتعددة عبر العصور، بقيت شاهدة على عراقة التاريخ.

يرجع البناء الأصلي إلى ما قبل الميلاد؛ إذ يُعتقد أنه كان قلعة أو برجاً أو حصناً استخدمه الرومان مقرّاً لولاتهم. ويُقال إن الوالي الروماني بيلاطس البنطي، الذي حاكم المسيح، أقام فيها. وفي أوائل القرن التاسع الهجري تحولت المدرسة إلى مقر سكني لنواب القدس قبل أن يُعيد العثمانيون توظيفها في أواخر القرن العاشر الهجري داراً للحكم أطلق عليها اسم "السرايا القديمة". وظلت كذلك حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

في عهد الانتداب البريطاني وضع المجلس الإسلامي الأعلى يده عليها واعتبرها من أملاك الوقف الإسلامي وأنشأ فيها مدرسة عُرفت باسم "روضة المعارف الوطنية". ثم تحولت إلى مقر للشرطة أثناء الثورة العربية

الكبرى (1936-1939)، قبل أن تعود مجدداً لوظيفتها التعليمية. كما تضم المدرسة مدفناً الشيخ درباس الكردي الهكاري (أحد الفقهاء البارزين).

يُقدر أن تاريخ بناء المدرسة كان بين عامي 715هـ/1315م و720هـ/1320م وفقاً للمؤرخ فان برشم. وتتألف من ثلاثة طوابق تطل على ساحة مكشوفة وعلى الحرم الشريف من جهة الجنوب. يضم الطابق الأول غرفاً وإيواناً جنوبياً يُمثل النواة الأصلية للمدرسة؛ أما الطابق الثاني فيحوي غرفاً متوسطة الحجم ما زالت تُستخدم للتدريس؛ بينما أضيف الطابق الثالث لاحقاً خلال الفترة العثمانية.

السرايا العثمانية القديمة (قرب باب السلسلة)

الموقع: في البلدة القديمة، بالقرب من باب السلسلة المؤدي إلى المسجد الأقصى.

الوصف: كانت مقرّاً للوالي العثماني ومركزاً للإدارة والقضاء.

الاستخدام الحالي: تُستخدم لأغراض متعددة، وبعض أجزائها تحت إشراف الأوقاف الإسلامية.

السرايا الجديدة (قرب باب الخليل)

الموقع: خارج أسوار البلدة القديمة، بالقرب من باب الخليل.

الوصف: بُنيت في أواخر العهد العثماني لتوسيع الإدارة خارج البلدة القديمة.

الاستخدام الحالي: تُستخدم لأغراض متعددة، وقد تم تحويل استخدام بعض مبانيها بعد نهاية الحكم العثماني.

كما وعند وصولك مدخل سوق العطارين في البلدة القديمة بالقدس، وبتوجهك يساراً تصل إلى أزقة "عقبة السرايا" التي أخذت اسمها من المبنى العريق الذي تحتضنه "بيت السرايا" الذي بناه واتخذه متصرف القدس (محمد باشا العثماني) بيتاً له في العام 1865م، وبقي مسكناً للحكام الأتراك في القدس من بعده، حتى زمن الحاكم رشيد باشا.

والسرايا عبارة عن مبنين توأمين امتلكت عائلة القواس القسم الغربي منه في العام 1922 حتى العام 1988، أما بالنسبة للقسم الشرقي فقد امتلكته ثلاث عائلات هي: محمد صالح الجنيني، ومحمد أديب الصليبي، وعائلة ثلاثة يهودية الأصل في العام 1936، لتستولي عليه جمعية "عطيرات كوهنيم" عام 1980، وأضافت بناءً مفتوحاً على سطحه باتجاه المسجد الأقصى للقيام بطقوس دينية.

بالعودة إلى القسم الغربي فقد استأجرته "جمعية الرعاية العربية" بالقدس بمساعدة أهل الخير من عائلة القواس في العام 1988، وامتلكته رسميا في العام 1989، ورممته على مدار عامين، لتفتتح مركز السرايا لخدمة المجتمع في 1991/1/14م.

عند الدخول إلى القسم الغربي، أي مركز السرايا لخدمة المجتمع، تستقبلك أربع درجات تفضي إلى ساحة توزعت فيها ثلاث غرف، وإلى يمينك درج يأخذك إلى الطابق الثاني الذي يضم غرفتين، إضافة إلى مرافق المنزل، وعلى يمينك مرة أخرى يأخذك الدرج إلى الغرفة الأخيرة التي تتربع في صدر الطابق الثالث من السرايا.

البيت ما زال محافظا على الأقواس وزخرفات الجدران القديمة، ممتزجة بفنون الأطفال الذين يستقبلهم مركز السرايا لخدمة المجتمع ويقدم لهم خدماته.

القشلة في القدس



تعود كلمة "قشلة" إلى أصل تركي، وتعكس وظيفتها كمقر للسلطة؛ إذ كانت تُستخدم كمبنى إداري وعسكري يمثل الحكم العثماني في المدن. فقد ضم هذا المبنى قوات الشرطة والجندرية والجيش، وكان غالبًا يقع داخل القلعة أو الحصن في مركز المدينة. وتكاد لا تخلو مدينة عربية ذات طابع تاريخي من وجود مبنى القشلة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك مدينة القدس، حيث اكتسب هذا المبنى أهمية خاصة منذ إنشائه في ثلاثينيات القرن التاسع عشر على يد إبراهيم باشا أثناء سيطرته على جنوب بلاد الشام ووسطها. وقد واصلت مختلف السلطات استخدامه للغرض ذاته، بدءًا من العثمانيين، مرورًا بالانتداب البريطاني، وصولاً إلى الاحتلال الإسرائيلي.

سرايا عثمانية في عكا



تقف السرايا العثمانية في قلب مدينة عكا القديمة شاهدة على مرحلة مفصلية من تاريخ المدينة، وتُجسّد رمزًا للنفوذ العثماني الذي استمر لأكثر من أربعة قرون في بلاد الشام. شيدت هذه السرايا خلال القرن الثامن عشر في عهد الوالي أحمد باشا الجزار (أحد أبرز حكام عكا وأكثرهم تأثيرًا، والذي سعى لتحويل المدينة إلى مركز إداري وسياسي مزدهر في شرق المتوسط).

بُنيت السرايا لتكون مقرًا رسميًا للحكم والإدارة، وضمت مكاتب الوالي، وغرف الاجتماعات، والمحكمة، والسجن؛ كما أدت دورًا عسكريًا مهمًا في فترات التوتر والصراع. وتبرز أهميتها التاريخية ليس فقط بوظائفها الإدارية، بل بدورها في ترسيخ السلطة العثمانية في منطقة الجليل والساحل الفلسطيني، حيث كانت تمثل مركز القرار في تلك الحقبة.

تعكس عمارة السرايا الطراز العثماني التقليدي الممزوج بلمسات محلية؛ إذ شُيّدت من الحجارة الكلسية الصلبة، وتضم واجهات مزينة بالأقواس والنقوش الإسلامية. تؤدي بوابة كبيرة مزخرفة إلى ساحة داخلية فسيحة تحيط بها الغرف، وتعلو بعض أجزاء المبنى قباب وقناطر ذات طابع مملوكي عثماني. ويبرز في تصميمها الانسجام بين القوة المعمارية والوظائف العملية التي أدّتها على مدى قرون.

مع مرور الزمن وتبدل السلطات تنوعت استخدامات السرايا؛ ففي العهد البريطاني استخدمت مكاتب إدارية؛ ثم دخلت مرحلة الإهمال النسبي بعد نكبة 1948، قبل أن تُدرج ضمن مشاريع الترميم والحفاظ على التراث في البلدة القديمة لعكا. اليوم، تُعتبر السرايا من أبرز المعالم الأثرية في المدينة، ومقصداً للزوار والمهتمين بالتاريخ العثماني والهندسة المعمارية الإسلامية.

تمثل السرايا العثمانية في عكا ذاكرة معمارية وتاريخية، وجزءًا من الهوية الثقافية الفلسطينية؛ إذ تروي أحجارها قصة مدينة قاومت الغزاة وازدهرت بالحضارات، ولا تزال حاضرة بكل عظمتها بين أسوارها العتيقة وأزقتها الضيقة.

دار حكومة عكا: بنيت عام 1850 تحول المبنى لمدرسة للبنات في عهد الانتداب؛ وبعد النكبة أصبحت مدرسة مختلطة وتذكر باسم "مدرسة أبو سري"، وهي الآن مركز جماهيري.



سرايا عثمانية في غزة

تُعد السرايا العثمانية في مدينة غزة من أبرز المعالم التاريخية التي تجسّد الحضور العثماني في فلسطين، وتُشير إلى الدور الإداري والعسكري الذي أدته المدينة خلال الحكم العثماني الذي امتد من مطلع القرن السادس عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

شُيّدت السرايا في وسط مدينة غزة التاريخية خلال القرن السابع عشر أو أوائل القرن الثامن عشر، واستخدمت مقرّاً للوالي العثماني ومركزاً للإدارة المحلية؛ حيث احتضنت مكاتب الدولة، المحكمة الشرعية، والسجن؛ إضافة إلى الوظائف الأمنية والإدارية التي كانت تُمارَس من داخلها. وقد مثّلت السرايا رمزاً للسلطة الحاكمة، ومكاناً لحل النزاعات، وتطبيق القوانين، ومراقبة شؤون السكان المحليين.

يتميز المبنى بتصميم معماري عثماني تقليدي، يعتمد على الحجارة الرملية المتوفرة في البيئة المحلية. ويحتوي على باحة داخلية محاطة بغرف وقاعات متعددة الاستخدام، مع أقواس وأعمدة تعكس فنون العمارة الإسلامية العثمانية. ورغم بساطة البناء نسبياً، إلا أنه يحمل دلالة رمزية كبيرة على نفوذ الدولة العثمانية في جنوب فلسطين.

تغيّرت وظائف السرايا مع تغيّر العهود السياسية؛ ففي عهد الانتداب البريطاني استُخدمت لأغراض إدارية، وفي الفترات اللاحقة أُهملت أجزاء منها، بينما بقي بعضها قائماً، واستخدم لأغراض مدنية متفرقة. ومع ذلك لا تزال السرايا العثمانية تمثل شاهداً حياً على حقبة من التاريخ الفلسطيني، وتحمل في طياتها سرديّة مدينة تعاقبت عليها الأمم، لكنها حافظت على هويتها وجذورها.

تقع السرايا القديمة في وسط مدينة غزة التاريخية، تحديداً قرب ميدان فلسطين (الساحة المعروفة حالياً باسم ساحة السرايا)، وهي المنطقة التي كانت تضم المؤسسات الإدارية العثمانية، وما تزال تُعرف بهذا الاسم حتى اليوم رغم التغيرات العمرانية.

قصر الباشا



يقع قصر الباشا في البلدة القديمة بحي الدرج في مدينة غزة، ويعود بناؤه إلى عام 1260، عندما هزم السلطان قطز والظاهر بيبرس المغول والنتار في موقعة "عين جالوت"، وأصبح الظاهر بيبرس بعدها هو السلطان المهم في العالم الإسلامي؛ فأقام مملكة ضخمة ضمت مصر والشام وجنوب أفريقيا والحجاز وأجزاء من العراق وتركيا، وأقيم القصر بأمر من السلطان بيبرس لوالي غزة (الأمير جمال الدين اقوش الشقيقي). والقصر تعبير عن العمارة الإسلامية المملوكية، وهو مكون من مبنيين: شمالي، وجنوبي. المبنى الشمالي وهو مبنى الإدارة والحكم وأركان الدولة؛ أما المبنى الجنوبي فكان بيتاً لسكن الأمير وزوجته وأولاده. وفي العهد العثماني أطلق على أمير غزة لقب "الباشا" و"الباشا" كلمة تركية معناها "الأستاذ" أو "المربي"؛ فأصبح يطلق على المكان اسم "قصر الباشا".

وفي عهد الإنجليز حول القصر إلى ثكنة عسكرية أو مركز شرطة؛ ثم نقل إلى السرايا وأهمل القصر وضاعت كل مقتنياته وكل تحفه وكل آثاره؛ لأنه أصبح مركز شرطة، واستمر على هذا الحال إلى عهد الملك فاروق الذي أنشأ "مدرسة الأميرة فريال" وضم القصر إليها؛ وحولت بعد ذلك إلى "مدرسة الزهراء"؛ وبعد اتفاق أوسلو تم تسليمه إلى وزارة السياحة والآثار في غزة التي قامت بترميمه عام 2005 وتهيئته ليكون متحفاً للآثار في عام 2010، يضم آثار غزة في حقب تاريخية كثيرة (اليونانية والرومانية والبيزنطية والإسلامية).

سرايا عثمانية في بيت لحم



تُعد سرايا بيت لحم واحدة من المعالم العثمانية التي جسدت حضور الدولة العثمانية في المدينة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. شُيّد المبنى عام 1873 على الحافة الشمالية الغربية لما يُعرف اليوم باسم "ساحة المهد"، ليكون مركزًا إداريًا وحكوميًا يُشرف على شؤون المدينة والمنطقة المحيطة بها.

خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939)، وفي يوم 14 أيلول/سبتمبر 1938، قام الثوار الفلسطينيون بإحراق مبنى السرايا إلى جانب مكتب بريد بيت لحم، في إطار أعمال المقاومة ضد سلطات الانتداب البريطاني. وردًا على ذلك، هدمت السلطات البريطانية عام 1942 السرايا بالكامل، وأقامت على أنقاضها مركز شرطة حديثًا بُني وفق النمط الأمني البريطاني المعروف آنذاك. مصطفى حلمي

تميّز المبنى الجديد بتصميم مستطيل الشكل مع زاوية بارزة على شكل برج في الجهة الجنوبية الشرقية، مستوحاة من حصون تيفارت التي أنشأتها بريطانيا في فلسطين لمواجهة التمردات والانتفاضات الشعبية. بقي مركز الشرطة قائمًا ويؤدي وظيفته الأمنية حتى أواخر تسعينيات القرن العشرين، حين قررت السلطة الوطنية الفلسطينية إزالة المبنى ضمن مشروع إعادة تأهيل مركز المدينة.

في موقع السرايا القديم، أُقيم لاحقًا "مركز السلام" في بيت لحم، وهو مبنى متعدد الاستخدامات بُني ليقدم أغراضًا ثقافية وإدارية. وخلال أعمال الحفر لتأسيس المبنى الجديد، كُشفت طبقات أثرية مهمة تعود إلى مدينة بيت لحم القديمة، لا تزال أجزاء منها ظاهرة حتى اليوم في الطابق السفلي من المبنى، الذي يُستخدم جزئيًا كمركز للشرطة.

تُمثّل قصة سرايا بيت لحم نموذجًا حيًا لتحولات المشهد العمراني والسياسي في المدينة؛ إذ تداخلت السلطة العثمانية، والاستعمار البريطاني، والنظام الفلسطيني الحديث في موقع واحد، تراكمت فيه الطبقات التاريخية فوق بعضها؛ بينما طُمّرت رمزية "السرايا" - كمركز للحكم - تحت الأرض، ولم يبقَ منها إلا أثر في الذاكرة والصورة.

سرايا عثمانية في حيفا



تُعد سرايا حيفا إحدى أبرز تجليات السلطة المحلية في فلسطين خلال العهد العثماني، وقد ارتبطت نشأتها ارتباطاً وثيقاً بمشروع الشيخ ظاهر العمر الزيداني في إعادة تشكيل مدينة حيفا ومينائها في القرن الثامن عشر؛ ففي أعقاب خلافات مع زعماء جبل الكرمل، واستجابة لأمرٍ من أسعد باشا العظم حاكم صيدا، استولى الشيخ ظاهر على حيفا، التي كانت تقتقر آنذاك إلى الوسائل الدفاعية، وحصل لاحقاً على إذن من السلطان العثماني لتحسينها، رُود بموجبه بالمدافع التي نُصبت في برج شمالي (قريباً من موقع بلدية حيفا اليوم).

قبل إعادة بناء المدينة كانت حيفا القديمة تقع فيما يُعرف اليوم باسم "حي القشلة". أمر الشيخ ظاهر بهدم المدينة القديمة وردم مينائها غير المحمي، ورأى في الموقع القديم خطراً عسكرياً نظراً لانكشافه؛ لذلك أُسس في عام 1758 ما عُرف بـ"العمارة الجديدة"، التي بُنيت على شريط ساحلي ضيق بين البحر وجبل الكرمل، بطول 800 متر وعرض يُقدّر بثلاثة كيلومترات عن المدينة القديمة. امتد هذا الحي الجديد من ساحة الخمرة غرباً إلى بوابة عكا شرقاً، قرب مسجد الاستقلال وصرح الملك فيصل، وكان يُشار إليه بهذا الاسم حتى مطلع القرن التاسع عشر.

عمل الشيخ ظاهر العمر على تحصين المدينة الجديدة بأسوار حجرية ضخمة، وثلاثة أبراج على طول الشاطئ. بلغت مساحة المدينة نحو عشرين دونماً، بسمك جدران بلغ 75 سم وارتفاع 4.5 أمتار، مزودة بمدافع. أنشأ أيضاً ميناء صيد، وشيّد حصناً للمراقبة والجمارك أصبح لاحقاً مقرّاً للسلطة الإدارية والسياسية (سرايا حيفا).

تألف مبنى السرايا من طابقين وبدروم؛ خُصص الطابق السفلي كسجن مركزي، بينما ضم الطابق العلوي مكاتب الجمارك، والإدارة المالية، والمجلس البلدي. أمام المبنى، امتدت ساحة عامة كانت مركز الحياة الاجتماعية والاقتصادية، تصل حتى جامع الجرينة وبرج الساعة، الذي بُني عام 1899. هذه الساحة كانت ملتقى أهالي حيفا وزوارها من القرى المحيطة.

شهدت السرايا عدة تحولات مع تعاقب القوى الحاكمة؛ إذ جُددت خلال فترة الحكم المصري (1831-1840) في عهد إبراهيم باشا، واستُخدمت لاحقاً مقرّاً إدارياً في عهد الانتداب البريطاني، قبل أن تُستبدل بمبنى حكومي مقابل مقر بلدية حيفا الحالي. كانت السرايا آنذاك مقرّاً للحاكم المحلي، الذي ترأس مجلساً قضائياً يُمثّل المدينة والقرى المجاورة.

لكن في أعقاب نكبة 1948، وفي عام 1949، قررت بلدية حيفا بقيادة شبتاي ليفي تنفيذ مشروع "شيكمونا" الهادف إلى إزالة المدينة العربية، باستثناء أماكن العبادة، لصالح مشاريع عمرانية إسرائيلية. تقرر هدم سرايا حيفا بإشراف أبا حوشي، الذي خلف ليفي في رئاسة البلدية. أُقيمت في البداية حديقة عامة مكان السرايا، لكنها أُزيلت لاحقًا لتفسح المجال أمام مبنى مكتب البريد المركزي. وفي عام 2002، بُني على أنقاض السرايا وساحتها الواسعة برج الشراع، كمجمع للمكاتب الحكومية الإسرائيلية.

لم يتبق من سرايا حيفا سوى اسمها الذي تحمله اليوم أحد شوارع المدينة، فيما غابت المعالم المادية تمامًا. ومع شق الطرق الجديدة وظهور الأبنية الحديثة، اختفى المشهد العمراني والثقافي الذي ميّز حيفا كمدينة عربية نابضة بالحياة، كان فيها الميناء والسوق والسرايا يشكلون قلبًا إداريًا وتجاريًا نابضًا.

سرايا عثمانية في يافا





كان القرن الثامن عشر فترةً صعبةً على مدينة يافا؛ إذ تعرضت لعدد من الأزمات والمآسي. وبحلول عام 1763 كانت المدينة محاطة بسور ضخم يضم أكثر من أربعمئة منزل، لكنها عانت من مجازر دامية أبرزها مجزرة عام 1775 التي نفذها محمد أبو الذهب، ورفيق علي بك الأقرب، وأسفرت عن مقتل عدد كبير من السكان. كما شهدت المدينة في عام 1799 غزو نابليون، حيث ذبح الجيش الفرنسي ما لا يقل عن ستة آلاف جندي ومدني في المدينة، في واحدة من أبشع فصول تاريخها.

مع حلول القرن التاسع عشر، دخلت يافا فترة أكثر استقرارًا وازدهارًا، خاصة في عهد الحاكم العثماني محمد آغا أبو نبوت (1807-1818)، ثم خلال الحكم المصري (1831-1840)، حيث شُيّدت العديد من الضواحي الجديدة، مع بداية انفتاح المدينة على العالم الخارجي.

شهد عام 1892 تحولاً مهماً بتمديد خط سكة حديد يربط بين يافا والقدس بعد افتتاح قناة السويس؛ ما عزز مكانة يافا كمركز تجاري وحضري. وفي عام 1901، شُيّد برج الساعة احتفالاً بالذكرى الخامسة والعشرين لحكم السلطان عبد الحميد الثاني؛ بينما تأسست عام 1909 مدينة تل أبيب شمال يافا، ما مثّل بداية التوسع الحضري الكبير في المنطقة.

في عام 1917 احتل البريطانيون مدينة يافا، فبدأت مرحلة جديدة من التطور الحضري، حيث تضاعف عدد سكانها تقريبًا خلال فترة الانتداب من حوالي 32 ألف نسمة عام 1917 إلى نحو 100 ألف نسمة بعد ذلك بـعقود قليلة.

عرف في يافا سرايان رئيسيان يحملان اسم السرايا، يعكسان تطور المدينة على مر العصور: السرايا الأولى: شيدها محمد آغا أبو نبوت، وكانت مقرًا للجيش العثماني. بعد انتهاء العهد العثماني، تحولت إلى مصنع صابون الأكبر في فلسطين، مملوكًا لحنا داود دمياني. استضاف المبنى أيضًا مكاتب الدوائر الحكومية في أوائل القرن التاسع عشر، وظل مركزًا إداريًا مهمًا حتى بداية نقل هذه الوظائف إلى السرايا الجديدة.

السرايا الجديدة: بُنيت في منطقة القشلة حول ساحة برج الساعة، عقب هدم أسوار المدينة للسماح بالتوسع الحضري. جرى تصميم المبنى على الطراز الكلاسيكي الجديد، الذي يعكس بوضوح التأثيرات الأوروبية الحديثة على العمارة الشرقية، ويجسد رغبة الإمبراطورية العثمانية في الظهور بمظهر التحديث والعصرية. تتميز السرايا الجديدة بواجهتها المزخرفة التي تم ترميمها جزئيًا، وبسلاسلها المهيبة التي تؤدي إلى المدخل الأمامي، والتي تعكس المستوى الرفيع في تقنيات ومواد البناء آنذاك.

تجسد سرايا يافا بشكل واضح الانتقال من المدينة المحصنة التقليدية إلى مدينة حديثة منفتحة على العصر والتطور؛ إذ كانت هذه المباني مراكز للسلطة العسكرية والإدارية، وشاهدة على تحولات تاريخية عميقة في المدينة التي كانت واحدة من أهم موانئ فلسطين على الساحل.

سرايا عثمانية في الخليل

سرايا الحكومة العثمانية (دار مردم بيك)

الموقع: تقع في بداية الطريق المؤدي إلى حارة القريون، مقابل برج الساعة في البلدة القديمة من الخليل. الوصف: كان المبنى يُعرف باسم "دار مردم بيك"، ويُعدّ مجمعًا كبيرًا يضم عدة مباني. استخدم مقرًا للحاكم العثماني ومركزًا للإدارة والقضاء.

الاستخدام الحالي: المبنى لا يزال قائمًا ويُعتبر من المعالم التاريخية البارزة في المدينة.

سرايا عثمانية في بئر السبع:



سرايا بئر السبع هي مبنى حكومي تاريخي بُني عام 1901 في البلدة القديمة لمدينة بئر السبع خلال العهد العثماني بأمر من والي المدينة (آصف بك الدمشقي). يُعد هذا المبنى أول منشأة عامة في المدينة، ويقع على تل في الجزء الشمالي من جادة كيرين كيميت للمشاة. يتكون المبنى من طابقين وثلاثة أقواس، وقاعة كبيرة، وسقف من القرميد الأحمر؛ ما يعكس مزيجًا من الطرازين التركي والأوروبي في العمارة.

خلال الحقبة العثمانية استخدم الحكام المحليون المبنى مقرًا إداريًا؛ فقد كان الطابق السفلي يضم مكاتب حكومية؛ بينما خُصص الطابق العلوي لسكن الحاكم وعائلته. أقيمت بجوار السرايا مبانٍ حكومية أخرى مثل: مقر الشرطة، والمجلس البلدي، ومكتب الطابو، والمحكمة.

في فترة الانتداب البريطاني، أُضيف إلى المبنى جناح جديد يضم دائرة الطابو ومحكمة الصلح البدوية. في عام 1938، خلال الثورة العربية الكبرى، أُضرمت النيران في المبنى؛ ما أدى إلى احتراق سقفه الخشبي؛ فاستُبدل بسقف خرساني. لاحقًا، استُخدم المبنى مدرسة للبنات، وأضيفت إليه مبانٍ حكومية أخرى، بما في ذلك مبنى للشرطة من نوع تيجارت.

أثناء حرب 1948 تحصن الجيش المصري في دار السرايا، لكنهم استسلموا بعد تهديد الجيش الإسرائيلي بقصف مباشر. يُستخدم المبنى مركزًا لشرطة بئر السبع ومقرًا للقيادة الجنوبية للجيش الإسرائيلي.

يُعتبر مبنى السرايا شاهدًا على التاريخ الإداري والسياسي لمدينة بئر السبع، ويعكس التحولات التي مرت بها المدينة من العهد العثماني، مرورًا بالانتداب البريطاني، وصولًا إلى الاحتلال الإسرائيلي.

سرايا عثمانية في طبريا



السرايا العثمانية في طبريا تُعد من أبرز المعالم التاريخية التي تعكس أهمية المدينة خلال العهد العثماني. بُنيت هذه السرايا في وسط المدينة، واستخدمت مقرًا للإدارة العثمانية؛ فقد احتضنت مكاتب حكومية وسكنًا للحاكم. تميز المبنى بتصميمه المعماري الذي يجمع بين الطرازين العثماني والأوروبي، ويُظهر التأثيرات الثقافية المتنوعة التي شهدتها المدينة.

خلال فترة حكم ظاهر العمر الزيداني في القرن الثامن عشر، شهدت طبريا نهضة عمرانية ملحوظة، إذ أعاد بناء أسوار المدينة وتحسينها؛ ما ساهم في تعزيز مكانتها كمركز إداري وتجاري في المنطقة. وقد لعبت السرايا دورًا محوريًا في هذا السياق، إذ كانت مركزًا للسلطة والإدارة.

على الرغم من التغيرات التي طرأت على المدينة بعد عام 1948، بما في ذلك تهجير السكان العرب وتغيير معالمها العمرانية، لا تزال السرايا العثمانية قائمة تشهد على تاريخ المدينة العريق. وتُعد من المعالم التي تذكر بالأهمية التاريخية لطبريا ودورها في الفترات المختلفة من تاريخ فلسطين.

سرايا عثمانية في صفد



السرايا العثمانية في صفد تُعد من أبرز المعالم التاريخية التي تعكس أهمية المدينة خلال العهد العثماني. بُنيت هذه السرايا في عشرينيات القرن الثامن عشر بأمر من ظاهر العمر الزيداني، واستخدمت مقرًا للإدارة العثمانية؛ فقد احتضنت مكاتب حكومية وسكنًا للحاكم. تميز المبنى بتصميمه المعماري الذي يجمع بين الطرازين العثماني والأوروبي، ويُظهر التأثيرات الثقافية المتنوعة التي شهدتها المدينة.

في عام 1901 أُضيف إلى السرايا برج الساعة الحميدية، وهو واحد من سبعة أبراج شُيّدت في مدن فلسطينية احتفالاً باليوبيل الفضي لتولي السلطان عبد الحميد الثاني العرش العثماني. خلال الانتداب البريطاني استُخدمت السرايا مقرّاً إداريّاً، وفي عام 1948 كانت مقرّاً لجيش الإنقاذ. بعد تهجير سكان المدينة العرب استُخدم المبنى مقرّاً للجنود القادمين الجدد، ثم وضعت بلدية صفد يدها على المبنى، فصار مركزاً جماهيرياً.

سرايا عثمانية في الناصرة



تُعدّ سرايا الناصرة من أبرز المعالم التاريخية في قلب البلدة القديمة، ويعود تاريخ إنشائها إلى الحقبة العثمانية في القرن الثامن عشر، حيث شُيّدت بين عامي 1730 و1740 بأمر من الحاكم المحلي ظاهر العمر الزيداني. استخدمت السرايا مقرّاً لحكم ظاهر العمر وإدارة شؤون مدينة الناصرة ومحيطها، بما في ذلك منطقة مرج ابن عامر، كما اتخذها مقرّاً لسكنه.

تكوّن المبنى من جناحين رئيسيين: جناح خاص للسكن يُعرف بـ"الحرملك"، وآخر مخصص لاستقبال الضيوف والزوار يُعرف بـ"السلمك"، بالإضافة إلى معتقل وإسطبلات. ونظرًا لغياب المساجد في المدينة آنذاك، خصص ظاهر العمر قاعة في السرايا مصلّى للمسلمين، إلى أن اكتمل بناء الجامع الأبيض في عام 1812.

شهد المبنى توسعات وتحسينات لاحقة؛ ففي منتصف القرن التاسع عشر أُضيف رواق في الطابق العلوي. وفي مطلع القرن العشرين شُيّد برج ساعة بأسلوب عصر النهضة الإيطالي احتفاءً بمرور 25 عامًا على جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش العثماني، ليلتحق بأبراج مشابهة في القدس، ويافا، وحيفا، وعكا، وصفد، ونابلس.

استمر استخدام مبنى السرايا مركزًا إداريًا لإدارة المدينة حتى عام 1991، حين انتقلت بلدية الناصرة إلى مقر جديد. وفي السنوات الأخيرة، شرعت بلدية الناصرة في مشروع ترميم شامل للمبنى يهدف إلى تحويله إلى متحف يُبرز تاريخ المدينة. وقد شملت المرحلة الأولى من المشروع تعزيز البنية التحتية وتقوية العناصر الإنشائية للحفاظ على هذا المعلم التاريخي العريق.